الطب النبوى

للدكتور ابراهيم مصطفى عبده
رئيس المعامل بكلية الصيدلة ـ جامعة القاهرة

ثلاثة أحاديث نبوية صحيحة أرجو أن أوفق فى هـذا المقال الى شرحها وبيان حقيقة معناها :

الحديث الأول
(عن العدوى)

قال صلى الله عليه وسلم **(لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم فرارك من الأسد)**

المراد به نفى ما كانت تعتقده الجاهلية من أن الأمراض تعدى بطبعها لا بفعل الله تعالى . فنفى فى أول الحديث العدوى بطبعها وبنه فى آخره الى الاحتياط مما يحصل منه الضرر بارادة الله وتقديره

والطيرة معناها التشاؤم .

وكانت العرب فى الجاهلية تنفر الطيور فان سارت جهة اليمين تبركوا ومضوا فى سفرهم . وان أخذت ذات الشمال تشاءموا ورجعـــوا عن قصدهم . فكانت تصدهم فى كثير من الأوقات عن مصالحهم .

روى أبو داود باسناد صحيح أن الطيرة ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال **(أحسنها الفأل ولا يرد مسلما . فان رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتى بالحسنات الا أنت . ولا يدفع السيئات الا أنت . ولا حول ولا قوة الا بك)** .

أما قوله صلى الله عليه وسلم (لاهامة) ففيه تأويلان : أحدهمـــا التشاؤم اذا سقطت البومة على دار أحدهم زاعمن أنها بذلك تنعى موته أو بعض أهله . والتفسير الثانى أن العرب كانت تعتقد أن عظام الميت أو روحه تنقلب هامة تطير فيفزع القوم لرؤيتها .

وأعجب تفسير قرأته لقوله عليه الصلاة والسلام (لاصـــفر) أن الجاهلية كانت تزعم أن فى البطن دابة تهيج عند الجوع وربمـا قتلت صاحبها . وأنها تنتقل بالعدوى من شخص الى آخر . وقد ذكر ذلك مسلم عن جابر راوى الحديث .

وقيل أنه شهر صفر وكانوا يتشاءمون بحلوله ولا يحاربون فيـــه متوهمين أن فيه تكثر الفتن

فأبان صلى الله عليه وسلم ضلال الجاهلية ، وفساد معتقداتها ، وبطلان عاداتها ..

الجذام - مرض معد تظهر أعراضه غالبا على الجلد وفى الاغشـــــية المخاطية . ويوجد ميكروبه فى افرازات قروحه .

وقيل انه ينشأ أحيانا عن السمك الفاسد . ولا تبدو أعراض الجذام الا بعد التعرض للعدوى بشهور . فيصاب المريض بحمى مترددة تظهر بعدها بقع حمراء مرتفعة قليلا ثم يزداد حجمها . وأكثر ما تحدث هذه الارتفاعات فى الوجه فتشوهه وتجعله أشبه بملامح الأسد . ثم يصاب المريض بمضاعفات مختلفة نتيجة التعفن .

وهناك نوع اخر من الجذام قد يؤدى الى شلل بعض الأعصاب فتصبح عضلات اليد كمخلب الأسد .

ومن ذلك يعلم حسن الاختيار للتشبيه فى الحديث . فكأن المجذوم يشبه الأسد فى الخطر وفى الشكل أيضا .

* * *

الحديث الثانى

(عن الطاعون)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**الطاعون رجز أرسل على طائفة من بنى اسرائيل - أو كان على من كان قبلكم - فاذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه . واذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه**) .

الطاعون - نعوذ بالله منه - وباء يفسد الهواء فيفنى به خلق كثير .

وأكثر أنواعه شيوعا المسمى بالدملى . وأعراضه فتور وصداع وألم فى الظهر . ثم يظهر ورم فى الفخذ أو الابط أو العنق . وقد تظهر قروح فى بعض البدن . ثم تنتشر فى سائر أجزائه . فيتكدر ما حول الورم باحمرار فى اللون مائل الى السواد . ويحصل معه القىء وخفقان القلب . وقلما ينجو المصاب به .

وبهذه المناسبة أذكر الآية الشريفة (**ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة**) يصح أن يتمثل بها لمنع من يريد الدخول على الطاعون .

كما أن لسان حال المقيمين قوله تعالى (**قل لن يصـــيبنا الا ما كتب الله لنا**) .

ويلاحظ أن هذا الحديث الشريف مطابق لما هو معروف (بالكورنتينات) أو الحجر الصحى الذى تجريه الحكومات اذا وقع وباء فى احدى الجهات .

* * *

الحديث الثالث

(حديث الذباب)

عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (**اذا وقع**

الذباب فى شراب أحدكم فليغمسه ثم لينزعه فان فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء) وفى رواية أخرى (**فليغمسه كله ثم ليطرحه**) .

وقع كثير فى خطأ تكذيب هذا الحديث زاعمين عدم مطابقته للحقيقة . وذلك قبل أن تدحض مفترياتهم الأبحاث العلمية وتكشف عما تضمنه من بليغ الحكمة .

ويحق لنا أن نضيف هذا الحديث الى المعجزات العديدة التى جاء بها خاتم المرسلين منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا .

وان ما يقدمه الذباب من المنافع لآية عظيمة على وجود الخالق وقدرته معلوم أن الذباب يقع على العفونات والمواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تولد الأمراض المختلفة .

أتدرى أيها القارىء الكريم ما هو العمل الجليل الذى خص به الذباب وسخر له ؟ فكما أن الذباب ينقل بعض الجراثيم بملامسته مصدرها فانه أيضا يأكل منها أكثر مما ينقل .

وليس كل واجبه تقليل نسبة وجود الجراثيم فحسب بل ان ما يتناوله منها فى فمه يتحول داخل جسمه الى ما سماه علماء الطب (بالبكريوفاج) أو مبيد البكتريا الذى ينتصر على كثير من جراثيم الأمراض فيبيدها عن بكرة أبيها .

ولا يمكن لتلك الجراثيم أن تبقى حية أو يكون لها أى تأثير فى جسم الانسان فى حالة وجود البكتريوفاج .

واتماما للفائدة واظهارا للحقيقة أنقل ما جاء بمجلة التجارب الطبية الانجليزية عدد ١٠٣٧ عام ١٩٢٧ قالت :

« لقد أطعم الذباب من زرع ميكروبات بعض الأمراض . وبعد حين من الزمن ماتت تلك الجراثيم واختفى أثرها . وتكونت فى الذباب مادة مفترسة للجراثيم تسمى بكتريوفاج . ولو عملت خلاصة من الذباب فى محلول ملحى لاحتوت على البكتريوفاج التى يمكنها ابادة أربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض . ولاحتوت تلك الخلاصة أيضا على مادة خلاف البكتريوفاج نافعة للمناعة ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم » انتهى كلام المجلة .

وقد برهن على ذلك أيضا الأستاذ الدكتور دريل مندوب الصحة البحرية والكورنتينات المصرية فى الهند للبحث عن ظهور الكوليرا بها . وأنجع الطرق لمقاومتها . وقدم تقريرا مفصلا فى ديسمبر سنة ١٩٢٧ عما أجراه مع زملائه من الابحاث الفنية . والتجارب العلمية .

وقد ذكر فى تقريره أن البكتريوفاج أجسام حية صغيرة الحجم جدا ، أمكن تلوينها ورؤيتها بترسيب ذرات الفضة عليها . وأنه حصل على البكتريوفاج وتمكن من زرعه واذابته فى الماء . واعطاء محلوله الى المرضى

بنسب مخصوصة ، وبزيادة الجرع وتنظيم تناولها كان المريض ينال الشفاء فى يومين أو ثلاثة . وتمكن أيضا من استخراج البكتريوفاج من براز الناقهين واستعماله لنفس الغرض . وكان يضع من زرع البكتريوفاج فى بئر القرية فاذا شرب منه أهلها زالت عنهم أعراض الكوليرا .

وبذلك برهن على أن الذباب ينقل البكتريوفاج من براز الناقهين الى آبار الماء فيشربه الاهالى ويتناولون الاطعمة التى ينقل الذباب اليها البكتريوفاج فسرعان ما تخف وطأة الكوليرا عنهم ثم تزول تماما .

وقد أجريت مثل تجارب الدكتور دريل فى البرازيل عن الدوسنتاريا الحادة . وأيضا استعمل البكتريوفاج فى ايطاليا فى علاج الحمى وكذلك ضد جراثيم الاستافيليكوك فأفاد .

وأطلعت على تفصيل قوة البكتريوفاج فى مقاومة وأبادة الجراثيم فى كتاب باللغة الانجليزية اسمه (تمهيد علم الجراثيم العملى) يكاد يذكر أنها غير محدودة .

فمعنى أول الحديث بعد ما تقدم ذكره (فليغمسه ثم لينزعه) أو حسب الرواية الأخرى (فليغمسه كله ثم ليطرحه) أن الحكمة فى الغمس لادخال البكترويوفاج فى الشراب ليقتل الجراثيم التى تولد منها

والمقصود بالغمس جميع جسم الذبابة لان الحديث لم ينص على غمس الجناحين فقط . وهذا يدل على أن ذكر الداء والشفاء فى الجناحين لفظى لا يفهم منه قصر الضرر والمنفعة عليهما دون باقى الجسم .

وبما أن الجناحين جزء من الجسم فان الطب لا ينفى وجود ميكروب الداء وبكتريوفاج الشفاء فيهما .

والسبب فى التعبير بالجناحين لانهما أهم الأجزاء فى الذبابة اذ بدونهما تشل عن الطيران . ولزيادة التأكيد فى غمس الجسم كله لأن الجناحين أعلى أجزائه ولتقريب المعنى المراد الى أفهام العرب خاصة والناس عامة .

مما تقدم تتحقق صحة هذا الحديث ومطابقته للأبحاث الفنية . ولعلها فى المستقبل تكشف عن أسرار أخرى فى الذباب .

وليس عجيبا أن يخلق الله فى الذباب هذه الخاصية كما جعل دودة القز تحول فى جسمها ورق التوت الى خيوط حريرية . وكما أوحى الى النحل أن تأكل الأزهار فيخرج من بطونها العسل (**فتبارك الله أحسن الخالقين**) .

سبحانك اللهم وبحمدك . جلت قدرتك . وبهرت العقول عظمتك . والصلاة والسلام على رسولك المصطفى . الذى لا ينطق عن الهوى .

وأقول للمنكرين والمعاندين : (**لكم دينكم ولى دين**)

ابراهيم مصطفى عبده

للبحث بقية ..